

مستمعي العزيز، يتساءل الكثيرون ويقولون إذا كان ملكوت الله قد بدأ فعلا مع مجيء المخلص والملك يسوع المسيح، فلماذا لا نرى مظاهر هذا الملكوت واضحة في عالمنا؟ ولعل من أهم مظاهر ملكوت الله هو دحره للشر أو جعل قوته محدودة، وسيادة الخير على عالمنا. وأن يكون لملكوت الله وزن كبير، وأن يُحسب له حسابا بالنسبة للقوى العالمية الأخرى. مع العلم أن المؤمنين الحقيقيين بالمسيح مازالوا قلائل جداً بالمقارنة مع أتباع المذاهب الأخرى.

بالحقيقية إن كل هذه التساؤلات والأفكار صحيحة وجدير بنا أن نناقشها ونجيب عنها. والذي يساعدنا في هذا المجال، هو أن المخلص المسيح سبق له أن أجاب على هذه التساؤلات في أمثاله عن ملكوت الله. وكان المسيح يعلم أنه لابد أن تظهر مثل هذه التساؤلات عند الكثيرين، لاسيما وهو عالم في احتمال استمرار هذا الدهر لفترة طويلة، وبالتالي تأخر مجيء المسيح ثانية وانتهاء العالم. ولقد تحدث لنا المسيح بمثلين في هذا المجال.

دوّن لنا البشير متى في الأصحاح الثالث عشر والعدد الواحد والثلاثين ما قاله المسيح فكتب يقول: " قدّم لهم مثلاً آخر قائلاً. يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها." (متى ١٣: ٣١ و٣٢) هذا هو المثل الأول وسنأتي على ذكر المثل الثاني بعد قليل.

شبه المخلص المسيح هنا ملكوت الله بحبة الخردل، وهي حبة صغيرة لا قيمة لها، ووصفها المسيح نفسه بأنها أصغر جميع البزور. يشير هذا المثل إلى وجود ملكوت الله في عالمنا الحالي كشيء صغير جدا لا قيمة له، تماما كحبة الخردل الصغيرة التي لا قيمة لها. إن الرسالة التي يريد أن يقولها المسيح لنا أن ملكوت الله سيكون موجودا في عالمنا بالرغم من صغره وعدم اعتبار الناس له.

لكن المخلص المسيح في نفس الوقت دعانا أن لا ننخدع بالظواهر، صحيح أن ملكوت الله حاليا هو أمر صغير ولا قيمة له، لكنه يوما ما سيملا الأرض كلها. وسيصبح شجرة من أكبر البقول، حتى أن طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها. أي سيصبح أعظم وأكبر قوة في عالمنا لا بل القوة الوحيدة المسيطرة. وسيحدث هذا عند مجيء المسيح ثانية بقوة ومجد عظيمين وانتهاء العالم.

إن ملكوت الله إذن يا صديقي موجود بالرغم من عدم رؤيتك له، وعدم تجلي مظاهره القوية أو إحساسك به. إن الله يعمل اليوم بهدوء بواسطة روحه القدس في القلوب، فيحرر النفوس من عبودية الخطية والشيطان، ويصيرها من أولاد الله، ويهبها الغفران والحياة الأبدية. هذه هو سر الملكوت الذي كشفه المسيح لتلاميذه. فهل تود أن تكون أنت أيضا من أبناء هذا الملكوت العظيم؟

كما ذكرنا في البداية فإن المخلص المسيح قد تحدث بمثلين لتأكيد فكرة وجود ملكوت الله في عالمنا الحالي بالرغم من عدم رؤية الناس لمظاهره. تابع البشير متى في الأصحاح الثالث عشر فكتب قائلا: " قال لهم مثلا آخر. يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع." (متى ١٣: ٣٣)

هنا أيضا شبه المسيح ملكوت الله كخميرة صغيرة مخبأة في ثلاثة أكيال دقيق. أي أن ملكوت الله في الدهر الحالي سيبقى شأننا صغيرا لا قيمة له ولا وزن، لا بل مخبأ من الصعوبة أن يراه أحد أو يكثرث بوجوده. فلا نجد مظاهر الملكوت التي تظهر قوة الله ومجده، لا بل إن المؤمنين الحقيقيين بالمسيح ما زالوا جماعة صغيرة لا اعتبار لها.

أجل، لم يقلب المسيح في مجيئه الأول موازين القوى العالمية، ولم يحدث أي تغيير واضح في التاريخ السياسي للعالم، فهو لم يبين أية أمبراطورية. لهذا لم يكن غريبا أن يتجاهل المؤرخون الرومان ولادته وأعماله المجيدة و ثم موته الكفاري على الصليب وقيامته الباهرة. لقد أتى المسيح الملك في مجيئه الأول إنسانا وديعا متواضعا محبا و غفورا، حتى إنه مات على الصليب فداء لنا نحن البشر الخاطئة.

واختار المسيح تلاميذه من الصيادين والعشارين والناس البسطاء. وأعلن الرسول بولس فيما بعد أن الله اختار جهّال العالم وضعفائه وأدنيائه ليُخزي الحكماء والأقوياء وليبطل الموجود. لكن يوما ما إن ملكوت الله هذا الصغير والمخبأ والذي لا قيمة له سيملاً الأرض كلها، أي تماما كما تخمر الخميرة العجين كله. وذلك عند عودة المخلص المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم ليدين العالم وليملك إلى الأبد.

يفسر البعض أن الخميرة هنا تشير إلى الشر. وأن المقصود بهذا المثل هو دخول الفساد والانحراف إلى كنيسة المسيح، وابتعادها عن الطريق القويم. وسيأتي يوم في وقت النهاية يعم فيه الفساد الكنيسة كلها. صحيح أن الخميرة ترمز روحيا إلى الشر في معظم الأحيان في الكتاب المقدس، لكنها في أحيان أخرى لا سيما في هذا المثل لا تشير أبدا إلى الشر. بل على العكس إنها ترمز وبحسب ما لاحظناه إلى وضع ملكوت الله في الدهر الحالي.

وإذا عدنا إلى العهد القديم من الكتاب المقدس فنلاحظ أن الله أمر شعب العبرانيين قديماً أن يقدموا له كذبيحة خبزاً بخمير في احتفال عيد الحصاد. وذلك للدلالة على شكرهم لله وفرحهم وابتهاجهم لما وفره الله من خيرات وبركات. وهذا ما يؤكد أن الخميرة لا ترمز في الكتاب المقدس إلى الشر دائماً. ومن غير المنطقي أن يكون المخلص المسيح وهو يتحدث عن ملكوت الله قد قصد من مثل الخميرة المخبأة الإشارة إلى الشر أو الفساد الذي سيعم الكنيسة.

إن التفسير الذي يدّعي أن الخميرة هنا ترمز إلى الشر يواجه معضلة هامة. وهي كيف يمكن أن يصبح ملكوت الله، خلاص الله المعلن. كيف يمكن أن يصبح فاسداً؟ وهل من المعقول أن يسمح الله لملكوته أن يفسد؟ إن كل القرائن والشواهد تؤكد أن المسيح كان يتحدث عن ملكوت الله الذي يعمل في الخفاء دون ضجيج أو حتى ملاحظة من قبل الآخرين. والذي سيصبح يوماً ما القوة الوحيدة في عالمنا الذي يملأ الأرض والسموات كلها.

ألا ترغب صديقي أن تدخل إلى ملكوت الله؟ ألا تود أن تحصل على هبة الغفران وأن تصبح من أولاد الله؟ لما لا تأتي بالتوبة والإيمان بعمل المسيح البديلي عنك على الصليب؟ ألا تظن أنك بذلك تحصل على أعظم عطية في الوجود؟